العرب
الخميس 2021/11/04
السنة 44 العدد 12230

نجم الأفلام التسجيلية يسطع من جديد بعدما لفّها النسيان

السينما المصرية تُغازل جائزة الأوسكار لأفضل فيلم أجنبي بممثلين هواة

باتت غالبية الأفلام المصرية المُشاركة في المهرجانات الدولية في الآونة الأخيرة مقتصرة على الأفلام التسجيلية بأبطالها حديثي العهد بالفن والسينما بشكل خاص، وأخذت تسحب البساط من تحت أقدام نجوم كبار، الأمر الذي يدعو إلى التساؤل عن عوامل الجذب فيها.

القاهرة - وجدت الأفلام التسجيلية اهتماما من قبل الكثير من العاملين في السينما بمصر، وانتقلت من الظل إلى النور، ومن قلة الاكتراث بها إلى تسليط الأضواء عليها، وباتت مثل "الدجاجة التي تبيض ذهبا" لبعض المخرجين والمنتجين، والمجال الذي يفجّر فيه بعض الفنانين طاقاتهم الإبداعية وهم يقفون لأول مرة أمام الكاميرات.

واختارت ما تسمى بـ"لجنة الأوسكار" التي تقيمها نقابة السينمائيين في مصر قبل أيام فيلم "سعاد" للمشاركة في المهرجان الدولي والمنافسة على جائزة أفضل فيلم غير ناطق بالإنجليزية لهذا العام، وهو من إخراج آيتن أمين وتأليف محمود عزت.

ترشيح «سعاد» للمشاركة في الأوسكار بعد حصول «ريش» على جائزة النقاد في كان يؤكّد جاذبية سينما قاع المجتمع

وأسندت البطولة فيه لممثلتين مغمورتين تقفان للمرة الأولى أمام الكاميرا، هما بسنت أحمد وبسملة الغايش، وفازتا مؤخرا بجائزة مناصفة لأفضل ممثلة بمهرجان فالنسيا.

وكان الفيلم ضمن قائمة الأعمال الرسمية التي اختيرت للدورة الثالثة والسبعين من مهرجان كان السينمائي الدولي لعام 2020، لكن تم إلغاء الدورة بسبب فايروس كورونا.

وتدور أحداث الفيلم حول المراهقات، ويحكي قصة أختين "سعاد" و"رباب" وحياتهما اليومية في إحدى مدن الأقاليم بمصر، وعلاقاتهما على مواقع التواصل الاجتماعي بطريقة بسيطة وسهلة وعفوية تجذب المشاهد.

وتبرز أحداث الأفلام التسجيلية قضايا دقيقة، وتغوص في قاع المجتمع المصري، بما يمنحها جاذبية لدى الجمهور والنقاد والمهرجانات، لأنها تناقش موضوعات حياتية حقيقية، ويضفي طاقم التمثيل الحديث بريقا عليها، إذ يبدو كل فنان أو فنانة كأنه يجسّد حياته الشخصية ولا يقوم بحفظ سيناريو وحوار مُعدّين خصيصا للعمل.

مدرسة فنية جذابة

أحيانا يتسبّب طرح قضايا اجتماعية شائكة في مشاكل لطاقم الفيلم، ولعل أزمة فيلم "ريش" للمخرج عمر الزهيري أثناء عرضه ضمن مهرجان الجونة السينمائي في شهر أكتوبر الماضي تعكس إلى أي مدى يمكن أن تثير الأفلام التسجيلية مشكلات لأصحابها، حيث اتهم طاقم الفيلم بأنهم عروا عشوائيات المجتمع المصري عن عمد من خلال تقديم حياة أسرة فقيرة تقيم في بيئة متواضعة للغاية.

وبعيدا عن الضجة التي أثارها الفيلم في مصر، فقد حاز على جائزة أسبوع النقاد في مهرجان كان السينمائي، ولقي حفاوة كبيرة من قطاع كبير من الجمهور، ما يُسهم في زيادة الإقبال على الأفلام التسجيلية، والتركيز على المواهب الجديدة التي أصبحت مغرية لبعض المخرجين، إذ من السهولة تطويعهم.

ولم تكن بطلة فيلم "ريش" دميانة نصار تقوم بتمثيل قصة من وحي الخيال، بل مثّلت حياتها ودورها في أسرتها الفقيرة، وهو ما يمنح مصداقية للعمل، ويضاعف من إقبال المخرجين على الوجوه التي لم تلتق بالكاميرا من قبل، ولا تملك خبرة التعامل مع طاقم التمثيل، ما يحوّلها إلى عجينة يسهل تطويعها فنيا.

ومع أهمية تطويع المخرج للممثل، لكنه يمكن أن يواجه مشاكل مع البعض، فالكاميرا لها رهبتها والأجواء التي تحيط بها يمكن أن تصبح عائقا ما لم يكن من يقوم - تقوم بالدور مدركا لأبعاده بصورة فنية جيدة، ويحاول مخرجو هذه الأفلام الاستفادة من ميزة البراءة أو الفطرة التي تصاحب الممثلين في ظهورهم الأول أمام الكاميرا.

ويقول الناقد الفني رامي عبدالرازق لـ"العرب" إن "الاعتماد على أشخاص من الواقع يعدّ أحد المدارس الفنية التي أخذت في الانتشار على نطاق واسع في عدد كبير من أفلام أوروبا الشرقية وإيران في السنوات الماضية وتعرف باسم 'التمثيل التلقائي'، وفي تلك المدرسة يبحث المخرج عن شخصيات حقيقية تشبه الشخصية الدرامية على المستوى الشكلي أو التجارب الحياتية، وتكون المساحة بين الواقع والخيال ضئيلة للغاية، وهو ما يُساعد في وصول الرسالة والتأثير في الجمهور على نحو أكبر".

ويضيف أن العديد من المخرجين في أوروبا حاليا لا يجيدون التعامل سوى مع الأشخاص الواقعيين، وهو نموذج يقتدي به البعض من المخرجين في مصر من الشباب، على رأسهم عمر الزهيري وآيتن أمين.

ويرجع النجاح في توظيف تلك المدرسة إلى قدرة المخرج على إدارة النموذج وإدخاله في الإطار الدرامي للفيلم، وفي بعض الحالات قد لا ينجح الأشخاص الطبيعيون في لمس مختلف جوانب الشخصية وتبدو الرسالة مشوّشة.

ويوضّح عبدالرازق لـ"العرب" أن ترشيح فيلم "سعاد" لجوائز الأوسكار و"ريش" في كان، يرجع إلى براعة المخرج في اختيار شخصيات تملك تقاربا شكليا مع الشخصية الدرامية وقدرة على التمثيل تجعل التجارب الفنية مميّزة وحقيقيّة، وهو أمر تحقّق على نحو أكبر في فيلم "سعاد"، واستطاعت الفتاتان بسنت وبسملة بتلقائية وعفوية التعبير عن الواقع بزاوية فنية مع منح المخرجة مساحة حرية لهما.

وتحافظ الكثير من النماذج التي يتم اختيارها على الجزء الفطري وتأخذ التمثيل كشغف وهواية وليس مهنة، في الوقت ذاته يسهم هذا النوع من المدارس في اكتشاف المواهب.

ورغم الأهمية التي تحملها الأفلام التسجيلية وعمق الرسائل السياسية والاجتماعية التي بداخلها، إلا أنها تجلب للقائمين عليها صداعا، حيث يتّهمون بأن أعمالهم تحمل تشريحا للمجتمع المصري ما يخدم جهات خارجية تريد أن تظل الصورة النمطية عن مصر قاتمة، ويستشهد أصحاب هذه الرؤية بأن معظم الأفلام التسجيلية تُعالج قضايا من قاع المجتمع، فلا يوجد فيلم يتطرّق إلى وجه مزدهر من وجوه الحياة.

ويمكن الردّ على هذه المسألة بسهولة، لأن من طبيعة الفن عموما البحث عن الوجوه المظلمة في الحياة والشخصيات العابسة التي تجذب الجمهور والنقاد، وهي في معظمها ثرية ومليئة بالتفاصيل التي يجهلها الكثيرون وتظهر جوانب غير مألوفة.

بحث عن الإثارة

تبحث المهرجانات عن هذه الثيمة التي تلجأ إلى كل ما هو غير مألوف، ما ضاعف من الإقبال على إنتاجها، خاصة أن هناك تمويلات خارجية توفّر دعما لبعضها، بما يقوّض واحدة من الأزمات التي توجه إنتاجها.

ويتجاوز حاليا التركيز على الأفلام التسجيلة عملية التمويل، وخرج اللجوء إلى فنانين حديثي العهد بالفن أو وجوه تقف للمرة الأولى أمام الكاميرا من نطاق توفير النفقات، وتحوّل إلى ملجأ يميّز أصحابها، وشجّع تبني جهات متعدّدة تمويل هذه الأفلام الكثير من المخرجين الشباب على الإقبال عليها.

وقد يكون الاهتمام من قبل شريحة المبدعين الشباب من المخرجين بهذه الأفلام يحمل شيئا من البحث عن الإثارة ولفت الانتباه إليهم، بجانب أنهم يجدون فيها مساحة واسعة للإبداع أو قماشة فنية يمكن تشكيلها بوجوه مختلفة، ما يساعدهم على التعريف بطاقاتهم الفنية من خلال الطرق على موضوعات يراها البعض هامشية.

واستلهمت المخرجة مي زايد قصة فيلمها "عاش يا كابتن" من رحلة نهلة رمضان، وهي ابنة الكابتن رمضان وحصلت على بطولة العالم في رياضة رفع الأثقال، وهي التي قامت بالبطولة، وعُرض الفيلم في عدد من مهرجانات السينما الدولية.

وهو سيناريو شبيه بفيلم "يوم الدين" الذي يعكس قصة حقيقية عايشها المخرج أبوبكر شوقي في مستعمرة للجذام، وبطل العمل هو راضي جمال، والذي شفي بعد تلقيه العلاج من المرض، وحصل على إشادات واسعة عقب مشاركته في مهرجان كان.

رامي عبدالرازق

الاعتماد على أشخاص من الواقع مدرسة إخراجية في حد ذاتها

وفاز فيلم "ستاشر" للمخرج المصري سامح علاء بالسعفة الذهبية في مهرجان كان لعام 2020، وهو من بطولة الوجه الجديد سيف حميدة.

وترشّح فيلم "كباتن الزعتري" للعديد من المهرجانات الدولية ومنتظر عرضه في نيويورك ولوس أنجلس بدءا من التاسع عشر من نوفمبر الجاري، وهو من بطولة محمود داغر وفوزي رضوان قطليش، وهما من الشخصيات الحقيقية التي تقف لتمثل للمرة الأولى في السينما، ويعيشان في مخيم الزعتري للاجئين بالأردن، ومغرمان بكرة القدم.

ويفسّر نقاد شغف المخرجين الشباب بهذه الأفلام بأنهم بالفعل يريدون الدخول إلى الشهرة من باب جذاب، ولن يجدوا أكثر من قضايا المهمشين إثارة وجاذبية، وفتح المجال لتعاطف إنساني، ويصطحب اللعب على هذه المنطقة شجونا من المنتمين لموضوع الفيلم ومن خارجهم، ويخلق جدلا وتجاذبا بين المؤيدين والرافضين له.

ويبدو أن الأفلام التسجيلية لا تقدّم وجوها تصلح لبطولة الأفلام العادية على الضفة الأخرى، حيث تتطلّب قدرا كبيرا من الاحترافية، لذلك قد تنتهي صلاحية عدد كبير من هؤلاء بفيلم أو اثنين، ومن يقرّرون مواصلة الطريق والخروج من عنق الأفلام التسجيلية عليهم صقل مواهبهم، لأن اختيارهم لأدوار معينة يعكس موهبتهم في توظيف مهارتهم في تجسيد حياتهم الحقيقية، وهنا لا يمثلون فنا يساعدهم على مواصلة الطريق.

«فرطلو الذهب» فيلم تونسي ينتصر للفن بواقعية سحرية

صابر بن عامر
صحافي تونسي

تونس - يواصل المخرج التونسي عبدالحميد بوشناق على عادته مفاجأة جمهوره بخيالاته السينمائية الجامحة، التي تنهل دون أن تسقط في التقليد الأعمى من المدارس الإخراجية العالمية على غرار ستيفن سبيلبرغ وجايمس كامرون وبيتر جاكسون، "مُتوْنسا" رؤاه للفن والحياة بمزاجه الخاص، فلا تملك إزاءه إلاّ أن ترفع "القبعة" إجلالا وإكبارا له ولمنجزه الفني القليل، نسبيا، لكنه عميق الأثر جماليا.

هي، طبعا، "قبعة الساحر" كما بدت في فيلمه الروائي الطويل الثاني "فرطلو الذهب" المشارك في النسخة الثانية والثلاثين من أيام قرطاج السينمائية.

و"فرطلو الذهب" أو "الفراشة الذهبية" هو فيلم داخل فيلم، أو بعبارة أدق، هو فيلم بلا بداية ولا نهاية، ولو أن البداية مأساوية والنهاية مفتوحة على السعادة ومُشاركة الآخرين آمالهم وأمنياتهم، ولو بشكل متخيّل.

فيلم يستفزّ المُشاهد ويغوص به عميقا في بواطنه، مُستعيدا الطفل الكامن فيه. روائي مُربك قال عنه المخرج السينمائي التونسي إبراهيم لطيف "هو فيلم مميّز، يبرز مخرجا حقيقيا له جنون وجرأة سينمائية لا يملكها غيره".

والفيلم الروائي الثاني لبوشناق ينطلق من قصة الشرطي الثلاثيني معز، قام بالدور محمد السنوسي، الذي يبدو مُتعجرفا وفضا في الظاهر، لكنه حليم وإنساني في الباطن، حيث يتتبّع المخرج علاقة معز بأبيه عبدالوهاب (فتحي الهداوي) وتشعّب حيواتهما، حيث يبدو الأخير، أي الأب، قاسيا وسكيرا، لا يتردّد في إيذاء كل من حوله، أما الابن فبدا كارها لأبيه وتصرفاته الصدامية، ولو أنه يتشبّه به كثيرا من حيث القسوة والصرامة على الأقل.

في الأثناء يظهر لمعز طفل، قام بالدور ريان داودي، غريب الأطوار في منزله يحمل له رسالة مفادها أنّه مصاب بمرض نادر في عينيه، وأنّه سيفقد نظره قريبا، فيتعاطف معه ويقرّر أن ينطلق به في رحلة أقرب للخيال منها إلى الواقع، واعدا الصبي أن يُريه ما لم يُشاهده مطلقا، قبل أن يفقد بصره بشكل نهائي.

من هناك تختلط الأحداث بين الواقع والخيال، وتتكشّف معالم الحكاية/ اللغز، حيث لا الطفل حقيقيّ، ولا الأب قاسي القلب، ولا الشرطيّ فضّ وعنيف، إنها ارتدادات الماضي التي أرادها بوشناق تكريما لكل فنان أصيل يمنح الناس السعادة ويحثّهم على الحياة، وإن كان خسر هو حياته، أصلا.

فوالد معز هو بالأساس فنان مسرحيّ، أحبّ وحيده حدّ العظام، وأراه من صنوف الفنون الفرجوية وسحر الألعاب البهلوانية والخدع السحرية وهو طفل ما لا يخطر على بال أحد، إلى أن قست عليه الأيام، وتنكّر له أهل القطاع ونسيته الجماهير، فاستحال سكيرا عربيدا وعنيفا، مع آل بيته قبل الغرباء، وما الطفل صاحب الرسالة إلاّ معز وهو يودّ العودة إلى طفولته البكر الصافية كـ"فرطلو الذهب" الذي لا يراه إلاّ من كانت سريرته ناصعة البياض كقلب معز المُصاب بالعمى العاطفي، ولو مؤقتا، بعد أن أنكر فضل والده عبدالوهاب عليه، وهو الذي علّمه حب الحياة وزرع فيه الشغف بالفن والإخلاص للوطن وإن جار عليه.

ربما معز هو عبدالحميد بوشناق بشكل ما، وربما عبدالوهاب هو والده المطرب التونسي - العربي الشهير لطفي بوشناق بتصوّر مُغاير، وربما "فرطلو الذهب" هو إهداء من الابن لأبيه، واعترافا له بجميل تغلغله، هو وأخيه حمزة بوشناق، واضع الموسيقى التصويرية للفيلم، في عالم الفنون وجنونه، فإن كان الأمر كذلك، فكم جميل هذا التكريم.

"فرطلو الذهب" باختصار، هو رحلة سحرية أخرى لعبدالحميد بوشناق يستكمل فيها ما بدأه في عالمي السينما والدراما التلفزيونية، فإن كان "دشرة" أول فيلم رعب تونسي يقدّم سردية سينمائية تنهل من الخرافة الشعبية بلغة سينمائية مُبتكرة، وإن كان مسلسل "نوبة" بجزأيه استعادة لملحمة موسيقية/ فرجوية برؤى درامية نوستالجية، وإن كانت سلسلة "كان يا ما كانش" فنتازيا كوميدية تمرّدت على النمطية شكلا ومضمونا، فإن "فرطلو الذهب" كل هذا وذاك ويزيد بلعبه الساحر على الظاهر والخفي، المعلن والمبطّن والواقعي والخيالي، وحسنا فعل المركز الوطني للسينما والصورة بتونس بترشيحه الفيلم للمنافسة ضمن القائمة الأولية لجائزة الأوسكار لأفضل فيلم أجنبي في العام 2022.

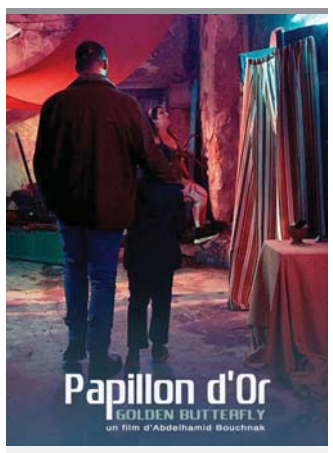

«فرطلو الذهب» يلعب على وتر الظاهر والخفي عبر قصة تستعيد بهاء الطفولة وعفويتها في إعلاء لصوت الفن

والروائي الطويل المنتظر عرضه انطلاقا من السابع من نوفمبر الجاري بكامل المحافظات التونسية الأربع والعشرين، هو من بطولة كل من فتحي الهداوي ومحمد السويسي وهالة عياد وإبراهيم زروق ورباب السرايري والطفل ريان داودي.

وهو الفيلم الرابع في رصيد بوشناق، بعد تجربة أولى تمثلت في فيلم وثائقي - روائي طويل بعنوان "قديما كركوان"، ثم الفيلم الروائي القصير "كعبة حلوى"، تلاه فيلم "دشرة" الذي حقق نسب مشاهدة عالية في القاعات التونسية تجاوزت مئة ألف متفرّج في أقل من شهر.

ويتنافس "فرطلو الذهب" على التانيت الذهبي لأيام قرطاج السينمائية ضمن مسابقة الأفلام الروائية الطويلة إلى جانب أحد عشر فيلما عربيا وأفريقيا، اثنان منهما تونسيان، وهما "عصيان" للجيلاني السعدي و"مجنون فرح" لليلى بوزيد.

وتختتم فعاليات الدورة الثانية والثلاثين من أيام قرطاج السينمائية السبت بتوزيع التانيتات الثلاث، الذهبية والفضية والبرنزية، على الفائزين في مسابقات المهرجان الإحدى عشرة بين قديمة وأخرى مستحدثة.

سأريك ما لا يخطر على بال